ملحقات

جمعية الرابطة الشرقية — مطاوباني من عباس
صلات عباس الشخصية — تحليل شخصية عباس

جمعية الرابطة الشرقية : تألفت هذه الجمعية سنة ١٩٢٢ وبقيت حتى سنة ١٩٣١ وقد آثرت جمع أخبارها فى فصل واحد حتى أعطى القارىء صورة كاملة عن أعمالها

مهد الجمعية : دعا ميرزا مهدى رفيع مشكى بك سر تجار ايران جماعة من أصدقائه الأفاضل بمنزله ، وكان منهم المصرى والسورى والعجمى والتركى . وبعد العشاء أخذوا بأطراف الحديث ، فقال احمد زكى باشا أحد المدعوين : ها نحن أولاء اجتمعنا ونحن من أمم شرقية مختلفة ، فهلا يستطاع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع ؟

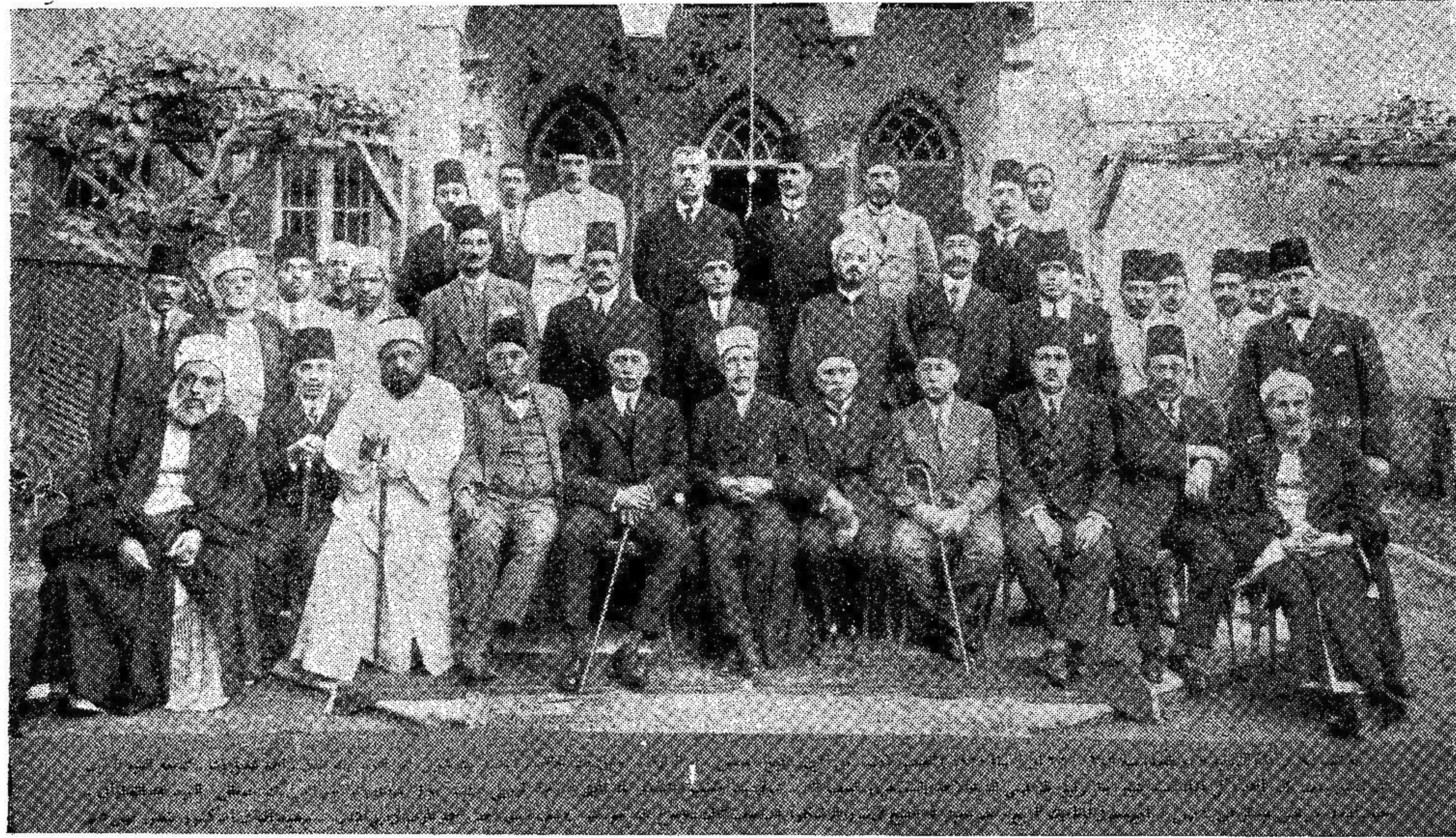
ثم هداهم التفكير الى انشاء جمعية تربط أفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من العلاقات أسموها « جمعية الرابطة الشرقية » واختاروا للرياسة السيد عبد الحميد البكرى أحد الحاضرين وللسكرتيرية احمد زكى باشا

انضمامى لها : ولما سمعت بهذه الفكرة مما نشر عنها الصحف كتبت لكاتم السر أحبذها ، وأعلن رغبتى فى الانضمام فجاءنى الرد باعتبارى عضواً بها مع الترحيب والسرور

الاجتماع الأول : وفى يوم ١٩ فبراير اجتمع الأعضاء في دار الرئيس بسراى الخرنفش ، وحضر الاجتماع أكثر من خمسين بينهم الأمير يوسف كمال ، والنبيل اسماعيل داود ؛ وألقى السيد البكرى خطبة قيمة . وقد اقترحت اسناد رياسة الشرف الى الأمير يوسف كمال ، ولكن



النبيل اسماعيل داود



أعضاء جمعية الرابطة الشرقية

سره اعتذر، وطلب أن تظل الرياسة للسيد البكرى، ثم جرى الانتخاب لمجلس الادارة، فانتخب السيد عبد الحميد البكرى رئيساً، والشيخ محمد بخيت والسيد رشيد رضا نائبين، واحمد زكى باشا كاتم سر، ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى، والثانى تركى، والثالث فارسى، وميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والسيد محمد الغنيمى التفتازانى. وصالح جودت بك القاضى، وحبيب لطف الله بك والأستاذ أميل زيدان، والشيخ عبد المحسن الكاظمى، والدكتور محجوب ثابت والشيخ مصطفى عبد الرازق، وصاحب المذكرات أعضاء

أغراضها: أما أغراض الجمعية، فقد حددها قانونها بأنها توثيق الروابط بين الأمم الشرقية بالتعاون الفكرى بينها، ودرس حضارة الشرق، وما يناسب اقتباسه لنهضته من الحضارة الغربية؛ وأن تتوسل الى ذلك بالوسائل العلمية والاقتصادية وبث دعوتها بالقلم واللسان، وايفاد بعض رجالها الى البلاد الشرقية للتعارف والتآلف وانشاء شعب فيها، وعقد مؤتمرات دورية فى جهات متعددة لتبادل الأفكار والبحث فى شؤون الجمعية ومراحلها العملية وتكوين نادٍ للاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات واستقبال الوافدين على مصر من كبراء الشرقيين وفضلائهم، واصدار مجلة تنشر المباحث العلمية والاقتصادية والأدبية، وتحيي بواسطتها آثار السلف ولتقوم مقام السفير بين أمم الشرق

اعتقال عضو فى الجمعية والأفراج عنه: وفى يوم ٢٣ ابريل قرر مجلس الادارة السعى للأفراج عن الدكتور محجوب ثابت(١) الذى اعتقل بالواحات الداخلة. وقد أنتج هذا السعى وأفرج عنه

مهمتى لدى عظماء الأستانة: وفى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢٣ قرر المجلس انتدابى من الجمعية لدى عظماء الأستانة بمناسبة سفرى إليها للسعى فى سبيل نشر اسم الجمعية لخدمة الشرق والشرقيين مع تفويضى فى التصرف بما يناسب أغراض الجمعية

وبعد عودتى عرضت على المجلس فى جلسة ٦ نوفمبر نتيجة مهمتى وهى:

مقابلتى للخليفة وحديثى معه عن الرابطة: قابلت جلالة الخليفة فعرضت عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخليـــة، فقابلنى ببشاشة وقال: إنه يتذكرنى من أيام وجودى بالأستانة عنـد ما كنت أقابله مندوباً من الخديو لأبلاغه تحياته، وإنه

(١) صورته مع أعضاء مجلس الادارة وستأتى

مسرور برؤيتى . واستعلم منى عن الرابطة فقدمت له قانونها مجلداً تجليداً فاخراً فاطلع عليه جلالته ، وقرأ مقدمة قانونها وشكرنى على تعريفه بها ، وكان يجهلها ، وتمنى نجاحها ، وكلفنى تبليغ أعضاء مجلس إدارتها شكر جلالته على تقديم القانون

ثم قلت لجلالته : « إن غرض الجمعية غير سياسى ولا دينى ، فهى جامعة لعموم الشرقيين من جميع الأديان، وبقانونها مادة تحرم الاشتغال بالسياسة وإنما غرضها التعارف والتآلف بين أمم الشرق بتقوية الصلات الودية والاقتصادية » : فسر جلالته بذلك .

ثم قلت : « إن مما يحقق هذا الغرض إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة » فقال : « إننى أفكر فى دعوة أمم الشرق التى لها مصارف إلى إنشاء فروع لها بالأستانة ، وفى اقتراحك بتقوية العلاقات الاقتصادية بين تركيا ومصر » . قلت : « إن الصلات الاجتماعية قديمة وباقية وأن التجارة يحسن تقوية روابطها بين مصر وتركيا فان بعض البلاد التركية كأزمير المشهورة بمتاجرها تأتى منها المتاجر على مراكب غير تركية ، وبعضها قد لا يمر بأزمير ، ولهذا يفكر المصريون فى إنشاء وابورات بحرية لسفر الركاب والمتاجرة ببحار الشرق ، وكم يكون من المستحسن إيجاد روابط بين مصلحة السفائن التركية والشركة المزمع إنشاؤها » فتمنى جلالته أن يتم ذلك .

مقابلة ممثل أنقرة : وبعد هذا قابلت عدنان بك ممثل أنقرة الرسمى بالاستانة وحادثته بخصوص الرابطة ، وقدمت له قانونها ونسخة أخرى لرفعها إلى الغازى مصطفى كمال فوعد بتقديمها إليه . وقد كنت عازماً على السفر لأنقره لولا ماعلمته من أن الغازى مشغول ، فاكتفيت بأن أترك له مع عدنان بك رسالة لفخامته كانت معى من الأمير عمر طوسن يعرفه بى فيها .

وعند خروجى من الباب العالى قابلت أحمد جودت بك الصحفى التركى المشهور فدعانى إلى إدارة جريدته إقدام . وقد عرضت عليه فكرة الرابطة فاستحسنها .

مقابلة الحاكم العسكرى للاستانة : ثم زرت رأفت باشا الحاكم العسكرى وتحادثنا فى شأن الرابطة فقال : « إن تركيا مشغولة الآن بشئونها الداخلية » وقد استحسن فكرة إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة .

دعايتى لها فى الاستانة : ثم حضر عندى عمر رضا بك مراسل الأخبار ، وهو

معلم اللغة الأنجليزية للخليفة ، وحادثنى فى جملة موضوعات تتعلق بمصر والدولة وسألنى عن الرابطة الشرقية، وعما فعلته للان ، فأجبته بأن أغراض الجمعية عظيمة أما ماصنعته فشىء قليل نظراً لحداثتها ، فهى تستقبل عظماء الرجال الشرقيين عند مرورهم بمصر ، وتؤلف بينهم وبين المصريين ، والمخابرات متبادلة بينها وبين عظماء الشرق؛ ويهم الرابطة أن تنشىء لها شعباً بالدول الشرقية لتقوية الصلات بينهما . وأن الرابطة ستقوم قريباً بعمل تظهر به وهو السعى فى جمع الاعانات للمسجد الأقصى .

ووزعت عدة نسخ من قانون الرابطة على الصحف المهمة وكبار رجال الدولة .

وقد استنتجت أن مسألة إيجاد شعبة للرابطة متعــــذرة بسبب اضطرابات الأحوال ، وكان سليمان البستانى الوزير السابق وعد بالمساعدة فى إنشائها . ولكنه أشار بتأجيلها .

رسالة شكر إلى الخليفة : وبعد أن عرضت هذه التفصيلات على مجلس الأدارة قرر إرسال الخطاب الآتى للخليفة :

« حضرة صاحب العطوفة كبير أمناء جلالة الخليفه الأعظم » .

« السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد عاد إلى مصر حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية ، فأبلغ ذلك المجلس أنه طبقاً لما عهد إليه قد تشرف بأن رفع إلى سدة مولانا الخليفة ـ أيده الله ـ خبر إنشاء جمعية الرابطة الشرقية بمصر ، وأبان لجلالته أغراضها السلمية العمرانية ، التى ترمى إلى تأييد روابط التعارف والتآلف بين أمم الشرق وشعوبه بلا تمييز بين الأجناس والأديان . وأن جلالته تفضل بأظهار عطفه العالى على تلك المقاصد ، وتكرم حفظه الله فكلف سعادته تبليغ ارتياحه مع سلامه السامى إلى أعضاء مجلس الأدارة ، فتقبل أعضاء المجلس المجتمعون اليوم لذلك تحيات جلالته وعطفه الكريم برفع أكف الدعاء بطول حياة جلالته مؤيداً للمبادىء الكريمة معضداً للمجهودات القويمة ؛ وقرر بالأجماع تحرير هذا الخطاب . راجين من عطوفتكم رفع فروض شكرهم بالنيابة عن جميع أعضاء الرابطة الشرقية مختلفى الأجناس والمذاهب إلى سدته العليا .

« أدامه الله مظهراً للعناية الربانية ، مؤيداً بالرعاية الصمدانية »

إحياء ذكرى جمال الدين بالرابطة : وفى يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٤ أحيت الرابطة بسراى البكرى ذكرى وفاة المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى، فتكلم

ميرزا مهدى بك عن تاريخه والأستاذ مصطفى عبد الرازق عن نظريه فى ربط الشعوب الشرقية .

تدخل الجمعية فى الحرب الحجازية العمومية : وفى يوم ٥ اكتوبر وردت للرابطة برقية من السيد أمين الحسينى جاء فيها :

« أبرقنا لنجد لحقن الدماء ، وصون الأماكن المقدسة فنرجو ابراقكم بمثل ذلك ، ونقترح إرسال وفد منكم لجدة ليشترك مع سائر الوفود الأسلامية بالسعى لحقن الدماء ، وصون حرية البلاد المقدسة ، وللتوسط فى حل المشكل بما يضمن المصالح الأسلامية والعربية »

فعقدت جلسة مجلس الأدارة فوق العادة وتقرر إرسال برقية لجلالة ملك الحجاز ، وعظمة سلطان نجد على يد جناب الحاج ميرزا محمد على قنصل ايران بجدة ، وعضو الرابطة الشرقية هذا نصها :

« قنصل ايران بجدة . أبلغوا باسم الرابطة الشرقية النص الآتى للجلالة الهاشمية والعظمة السعودية : إن الخلاف القائم بينكما يسوء الرابطة الشرقية التى لها شرف العمل على توثيق الروابط السلمية بين أمم الشرق جميعاً ، فنناشدكم باسم الأنسانية ، العمل بروح الوئام لفض الخلاف ، وتقرير السلم حقاً للدماء الزكية ، وصوناً للبقاع المقدسة ، كما هى أمنية الشرق والشرقيين »

فرد جلالة ملك الحجاز بأنه يشايع الرابطة الرأى في العمل على حقن الدماء والوصول إلى السلم

ولم يرد عظمة السلطان ابن السعود .

افتتاح نادى الرابطة : وفى يوم ٩ يناير افتتحت دار الرابطة بشارع سامى بالقرب من المالية ، فدعا مجلس الأدارة عدداً من العظماء والعلماء ومحررى الصحف

وبعد ما أديرت أقداح الشاى وأطباق الحلوى أخذت صورة للمدعوين مع أعضاء الرابطة ، ثم ألقى السيد عبد الحميد البكرى كلمة الافتتاح فبين فيها ضرورة اتصال البلاد الشرقية وترابطها ، وأعلن افتتاح دار الرابطة .

ثم تكلم السيد الغنيمى التفتازانى عن جهود الجمعية الثقافية والعلمية وقرأ نص برقية أرسلتها الجمعية إلى سراى عابدين بمناسبة افتتاح دارها

وتحدث ميرزا مهدى بك عما رآه فى الجمعية من غيرة على الشرق والشرقيين وتمنى لها مستقبلا سعيدا فى جمع شمل الشرق

وأخيرا القيت كلمتى ، وفيها شبهت مصر بقلب الشرق النابض ، وأنه ليس عجيبا أن تتألف الرابطة الشرقية فيها ، فتربط جميع الاطراف وتجمعها

عطف الرئيس ولسن : وفى أول ابريل أصدرت الرابطة مجموعة من خطب الرئيس ولسون ورسائله فى السنوات من ١٩١٣ إلى ١٩١٩

وهذه المجموعة أرسلها الدكتور ولسن للرابطة بواسطة صديقه الحميم مستر تشارلس كراين سفير الولايات المتحدة فى الصين سابقاً ، ورئيس اللجنة الأمريكية التى طافت الشرق الأدنى لسؤال أهله عن رغائبهم قبل أن يبت مؤتمر الصلح فى تقرير مصيرهم .

وكان قد مر بمصر سنة ١٩٢٢ كما ذكرت ، فسمع بالرابطة الشرقية فزارها في سراى الخرنفش ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ، وكان مما حدث به صديقه الحميم الدكتور ويلسون خبر الرابطة ، فأعجب بها وأحب أن يشجعها فى أعمالها ، فانتخب هذه المجموعة وكلف مستر كراين أن يوصلها للجمعية لترجمتها إلى بعض اللغات الشرقية ونشرها فى الشرق ، ووعد بأن يكتب لها مقدمة بقلمه .

وقد عاد مستر كراين سنة ١٩٢٣ وسلم هذه المختارات للرابطة ، وبلغها عطف الرئيس ولسن وإعجابه .

ولكن الموت حال دون كتابة المقدمة التى وعد بها إذ توفى قبل طبعها .

مساعدة الجمعية لجرحى الريف بمراكش : فى يوم ٩ يونيو عرضت على مجلس إدارة الرابطة رسالة وردت إلى من الأمير عمر طوسون ، بخصوص مساعدة جرحى الريفيين بمراكش ، فتقرر أن تقوم الجمعية بعمل نداء لاستنداء الأكف لمساعدة هذا المشروع ، وتبرع الأعضاء الحاضرون بمبلغ ١٣٨ جنيهاً وقد كتب الأمير شاكراً للجمعية عملها .

تدخلها فى حوادث دمشق : وفى جلسة ٢٧ اكتوبر عرضت برقية من موسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين ، تصف الفظائع التى ارتكبت في دمشق وغيرها من مدن سوريا ؛ فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ورئيس وزراء فرنسا ورئيسى مجلس الشيوخ ومجلس النواب بها وبعض صحفها .

وهذا هو نص الاحتجاج :

« إن جمعية الرابطة الشرقية تحتج بكل قواها باسم الأنسانية لدى عصبة الأمم على الفظائع الواقعة في سورية وهى فظائع تستوجب أشد الاستنكار من الشعب الفرنسى نفسه .

« إن أكثر المدن عمرانا من مدن سورية قد أصلح معظمها فى هذا اليوم ركاما من الخرائب والاطلال ؛ أما مدينة دمشق المقدسة فقد كان نصيبها أكثرهولا وأشد مصاباً ولاسيما فى أحيائها التاريخية والآهلة بالسكان والتجارات ، فقد أصبح الألوف من النساء والشيوخ والأطفال ـ عدا القتلى ـ بلامأوى يعانون نهاية الآلام من الفاقة البالغة ؛ وفوق هذه النكبة فغير مسموح للنساء بأن يخلصن بأنفسهن من هذا الجحيم

« إن العالم المتمدن لايمكنه أن يبقى ساكناً ، أو أن يغمض الطرف بازاء هذه الفظائع التى يعجز عنها الوصف ، وأن جمعية الرابطة الشرقية أمام هذه الأهوال تناشد الغضبة عواطفها الخيرية ، وتضامنها الأنسانى، لتضع نهاية سريعة لهذه الاعمال التى تثير الغضب فى سريرة كل انسان »

مساعدتها للمنكوبين فى سوريا : وكذلك وجهت الرابطة نداء لجمع التبرعات للمنكوبين في سوريا وتبرع المجلس بمبلغ ٨٢ جنيها ، وبلغ مجموع التبرعات التى جمعتها الرابطة ١٢٠٠ جنيه تقريباً

وأرسلت الجمعية برقية لحكيم أجمل خان الزعيم الهندى الكبير فى دلهى وهذه هى صورتها :

« ضرب مدينة دمشق آثار عطف العالم الشرقى والآثار الاسلامية التاريخية تهدمت . كذلك كان حظ حماه . تدمر المدن والقرى . وتفرض الغرامات الباهظة. والأهالى غيرقادرين على الدفع ، الشتاء يقترب بقره مهدداً بالجوع عشرات الألوف من النساء والأولاد والشيوخ.. والأرض لم تزرع. الرابطة الشرقية ترجو مساعدتكم لدى الشعب الهندى الكريم ، وصحافته الشريفة ، لاعانة السوريين وللاحتجاج على المظالم . قدافتتحنا الاكتتاب هنا »

وقد جاء الرد بالبرق بالصورة الآتية :

« نشكركم على برقيتكم . كل الجهود مبذولة فى الهند وفى الخارج . لنا الثقة أن كل الأحزاب المصريه تتعاون لتخفيف مصاب إخواننا المنكوبين . نرجو اهداء تحياتنا إلى أحمد شفيق باشا »

بحث فى الأزياء والتقاليد الشرقية : فى يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٢٦ دعوت أعضاء الرابطة لتناول الشاى بدارها ، وبعد ذلك عرضت أن يكون موضع سمر الليلة « مناقشة الأزياء والتقاليد الشرقية » وطرحت عليهم الأسئلة الآتية :

١ — هل يجب أن نستمر نحن الشرقيين على تقاليدنا ومظاهرنا كما هى . أو أننا نندمج في العوائد والأخلاق الغربيــة . أو أننا نحتفظ بتقاليدنا وعوائدنا الحسنة ونستبدل بعض الظواهر والتقاليد القديمة بأخرى غربية مما يفيدنا ولا يتنافى مع العادات القومية الصحيحة؟

٢ — وإذا قررنا التجديد فما هى المظاهر القديمة التى يلزم تغييرها بمظاهر جديدة تنطبق على قواعد الصحة والاقتصاد؟

٣ — وهل ينبغى إذا تقرر تجديد الزى أن تتميز كل فئة فى الشعب بزى مخصوص يناسب حالتها وطقوسها الذاتيـة ؟ .

دارت المناقشة فى هذه الأسئلة وتناولها سماحة الرئيس وسعادة الوكيل وعبد الرءوف بك زكى والشيخ محمود أبو العيون وصالح بك جودت والدكتور منصور فهمى والأستاذ نسيم صيبعه، وظلت المناقشات إلى ما يقرب من منتصف الليل .

وقد ألفت بعد ذلك جمعية للنظر في الموضوع من جميع جهاته الاجتماعيـة والاقتصادية والصحية ، وعقدت عدة جلسات لهذا الغرض ، وعرضت عليهـا زياً مبتكراً قليل النفقات ومناسبا للطقس في مصر ، نال استحسان الكثيرين ، ولكن لم تنته المسألة إلى شيء عملى

صلة الرابطة بالجمعيات فى الشرق : وفى ١٧ نوفمبر اقترحت إيجاد صلات بين الرابطة والجمعيات بالشرق ، فتقرر بعد تلاوة المذكرة المقدمة منى للمجلس في هذا الشأن ، أن ترسل جمعيتنا للجمعيات العلمية والأدبية فى الشرق بطلب قانونها ومطبوعاتها تمهيداً لعقد الصلات معها

وفى ١٠ أبريل سنة ١٩٢٧ اقترحت تأليف لجان داخلية للرابطة لدرس شئونها ولجان لمعرفة أحوال البلاد الشرقية .

وقد تقرر تأليف لجنة تنفيذية ولجنة مالية . ثم لجنة عربية للبحث فى شئون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية للبحث فى شئون تركيا ، ولجنة فارسية للبحث فى شئون فارس وأفغانستان وبلوخستان وشمال الهند ، ولجنة هندية لدراسة

شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة حال الهند الصينية وبلاد الملايو والصين واليابان ، ولجنة المغرب لدراسة شمال افريقية واللجنة الافريقية لدراسة الحبشة والسودان ، على أن يعجل بتأليف اللجان الثلاث الأول ، ويترك الباقى للظروف.

وفى ١٥ ديسمبر قدمت اقتراحا بطريقة استقبال الرابطة لجلالة ملك الأفغان وتقرر نشر تحية من الرابطة لجلالته يوم قدومه بالصحف ، وارسال تلغراف تهنئة له مع الجنرال غلام جيلانى خان سفير جلالة الملك بأنقرة .

اصدار مجلة الرابطة ومقالاتى بها : وفى جلسة ٥ ابريل سنة ١٩٢٨ تقرر فتح اكتتاب لاصدار مجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، وتنشر مبادئها ، فتبرع سمو الأمير يوسف كمال بمبلغ خمسين جنيها، وسمو الأمير عمر طوسن بمبلغ عشرين جنيها ، والسيد على بك الرفاعى بعشرين جنيها ، والسيد البكرى بعشرة جنيهات ؛ وتبرعت بمبلغ ستة جنيهات وربع الجنيه شهريا . وقد أسندت إلى ادارة المجلة .

وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٥ اكتوبر ، وكتبت به مقالة بعنوان : « جمعية الرابطة الشرقية . ماضيها . حاضرها . مستقبلها » ومما جاء فيها :

« منذ أكثر من جيل استيقظ الأمل فى قلوب الشرقيين ، ودب النشاط فى نفوسهم، فظهرت فى الشرق نهضات منثورة ، لم تزل تعالج العوائق المحلية ، وتكافح المناهضات الخارجية ، وأخذت تبدو لها آثار تقوى الأمل .

« لفت ذلك أنظار بعض المفكرين من أفذاذ الشرقيين الى تنظيم هذه الجهود ، وتوجيهها وجهة صالحة متكاتفة متضامنة .

« ترددت هذه الفكرة فى الأذهان ، وألحت على الرءوس ، حتى اختمرت في مصر قبل باقى الأقطار الشرقية . ولاغرو فمصر بالنسبة للشرق منارة ، ولأهله قبلة، إذ ليس بين بلدان الشرق اليوم من لها مميزات مصر ، وذلك لتوسطها بين القارات ، ولما لأهلها من دماثة تجعلهم يعتبرون كل شرقى بالنسبة لوادي النيل وطنياً . ومعاهدها العلمية — الأزهر والجامعة ومختلف المدارس — مازالت ترحب أكرم الترحيب بجميع رواد العرفان من شباب الشرقيين . حتى نبغ منهم عدد ليس بالقليل ، ومنهم من انتظم فى سلك خدمتها الحكومية، فأدى لها خدمات عظيمة .

« ومصر ، فوق ذلك ، قنطرة الشرق الى الغرب ، وواسطة عقد الثقافتين ، ونقطة اتصال الحضارتين .

« ثم عرضت برنامج الجمعية وما قامت به من الأعمال الهامة منذ نشأتها ، وختمت الكلمة بما يأتى :

« الى هـذه الوسائل الأدبية ينبغى أن تشجع الجمعية المشروعات الاقتصادية التى يقوم بها أبناء الشرق مجتمعين ، كتأسيس شركات برأسمال شرقى ، لاستثمار الأراضى بريها ، واستخراج ماتحتوى من كنوز ثمينة ، ومعادن نفيسة ، وإنشاء الطرق ، وتحسين المواصلات ، لاستخدامها في نشر التجارة وتعميمها ، متبعة فى ذلك الأساليب الفنية الحديثة . وليس لدينا شك فى أن « بنك مصر » لايتباطأ فى تقديم العون الممكن لجميع الشرقيين فى هذا السبيل .

« اذا حققنا ذلك البرنامج ، ووصلنا الى هذه الغايات المحددة ، انتظم حالنا ، واستطعنا أن نرفع رءوسنا ، شاعرين بمجدنا الشرقى ، وكبريائنا القومى ، وسايرنا الغرب فى مدنية تضارع مدنيته ، وحضارة تناسب حضارته .

« عندئذ يكون الشرق حقاً للشرقيين . والله ولى التوفيق »

وفي العدد الثانى كتبت مقالة بعنوان : « الشرق غنى فى أرضه . فقير فى أهله » ومما جاء بها :

« تكاتفت دول الغرب على أمم الشرق فوضعت فيما بينها نظاماً حددت فيه مناطق النفوذ لكل واحدة منها حتى لايطغى بعضها على بعض .

أحست الأمم الشرقية بالضغط والارهاق المادى الذى كاد يذهب بثروتها ، فأخذت فى الذود عما بقى بيدها ، واسترداد ماذهب منها .

« وهى في نهوضها هذا فقيرة فى بعض نواحيها يعوزها المال مقفرة فى النواحى الأخرى ينقصها العلم والنبوغ . لهذا فواحدة منها لاتستطيع النهوض وحدها بكل مايوصل الى تحقيق الأغراض المرجوة ، والآمال المرموقة .

« من أجل ذلك نرى التضامن بين هذه الأمم الشرقية ، وعقد حلف معنوى اقتصادى مقرباً لهذه الغايات البعيدة

« قد لايكون يسيراً عقد حلف رسمى بين أمة وأمة ، والحال كما هى الآن فى الشرق فلادخال المسألة فى حيز الامكان والعمل ، نقترح بادى الرأى إنشاء شركة مساهمة ذات رأس مال لاتشترط ضخامته أولا ، بل يزاد عند الاقتضاء ، توزع أسهمها بين الشرقيين في مختلف البلدان . وتكون أسمية ، كى لاتتسرب الى الأيدى الأجنبية ويكون مركزها فى مصر — لتوسطها بين القارات الثلاث ولأنها البلد الذى يعيش

فيه أكثر عدد من مختلف الاخوان الشرقيين — ويكون من أغراض هذه الشركة

(أولا) درس وتحضير البحوث الوافية فى المشروعات المالية والاقتصادية فى كل قطر من أقطار الشرق، سواء أكان لحسابها الخاص أم لحساب غيرها من أبناء الشرق أم بالاشتراك معه؛ ويحسن أن تقوم بهذا العمل هيئة مصرية فنية تجوب الاقطار الشرقية تدريجياً وتتفق مع حكوماتها وأهليها على الأعمال الضرورية لها.

(ثانيا) السعى فى إيجاد رءوس الأموال لتنفيذ ما يتقرر من هذه المشروعات.

والابحاث المشار اليها هى التى يقصد بها إلى احياء موات أرض البلاد وتنمية ما فيها من بركة من نواحي الزراعة والصناعة مثل مشروعات الرى لشق الترع وإيجاد الأحواض والسدود والخزانات والآبار الارتوازية وتوليد الكهرباء؛ ثم مشروعات استقلال الصناعات بتأسيس المصانع واستثمار المناجم والمعادن من فحم حجرى ومنابع زيت البترول واستخراج الزمرد والياقوت والفيروز والمرجان واللؤلؤ والزبرجد الثمين القيمة. وكل ذلك موجود فى جزيرة العرب. نضيف إلى ذلك وإنشاء السكك الحديدية، وتسيير الترام والبواخر وغيرها من وسائل النقل.

« وأشد البلاد حاجة لهذه الشركات هى الواقعة على شواطىء البحر الأحمر، وأهم المشروعات فى الوقت الحاضر التى تفتقر اليها هذه البلاد هو انشاء شركة بواخر مشتركة بينها وبين مصر تديرها أيد شرقية، يعلم أصحابها حاجات المسافرين من اخوانهم حجاجاً وتجارا، فيجد هؤلاء الراحة متوفرة على الصورة التى ألفوها وتجارتهم مصونة من كل عبث.

« ولعلنا نجد قريبا (لشركة مصر للنقل والملاحة) أسطولا تجاريا يقوم بهذا الغرض الضرورى العظيم بزيادة رأس مالها تحفظ للبلاد الواقعة على شواطىء البحر الأحمر حصصاً فى أسهمها؛ وبذلك يتحقق التضامن، وتتقوى ناحية من نواحى الرابطة الشرقية.

« تلك فكرة عرضت اطرحها على القراء الكرام رجاء بحثها وتمحيصها ونقدها بكل صراحة واخلاص حتى إذا ما وضح الرأى وجدنا الآخذين به من الدائبين على خدمة الشرق والشرقيين، ويد الله مع الجماعة ».

تمثيلى للرابطة فى افتتاح المسجد الاقصى: انتدبتنى الجمعية لتمثيلها فى حفلة افتتاح المسجد الاقصى. وقد ألقيت كلمة شكرت فيها اللجنة التى قامت بتعمير هذه المقدسات بحفظها من التداعى والزوال.

ثم شرحت للحاضرين أغراض الرابطة التي انتدبتني عنها ، وما قامت به من جلائل الأعمال . ودعوت الى عقد مؤتمرات دورية في بلاد الشرق تضم مندوبين عنها للتعارف والدراسة والتقريب بين الجميع

وفي ١٤ أكتوبر تقرر أن تصدر الرابطة بيانا للحكومات والشعوب بمناسبة اعتداء اليهود على البراق تبين فيه حق المسلمين التقليدى فى هذا المكان ، وأن اعتداء اليهود عليه يسبب كثيراً من المشاكل وسفك الدماء ، وتدعو هذه الحكومات لمنع حدوث هذه المشاكل .

تدخل الجمعية للاصلاح بين الأحزاب فى جاوه : وفى ١٨ ديسمبر تقرر إنشاء شعبة للجمعية فى جاوه ، وأن تتدخل الجمعية لحسم النزاع القائم بين بعض الأحزاب فيها ، وقد نجحت فى تدخلها .

تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة : وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣ ورد خطاب من ديوان الملك فيصل يبلغنى فيه تقدير جلالته لمجلة الرابطة وأنه تفضل بالاشتراك فيها وأرسل ١٠ جنيهات مقابل ذلك ، فتقرر كتابة رسالة بالشكر وهذا نصها :

« حضرة صاحب السعادة رستم بك حيدر — البلاط الملكى . بغداد .

« تشرفت لجنة مجلة الرابطة الشرقية بكتابكم المؤرخ ١٦ فبراير سنة ١٩٢٩ المتضمن أمر جلالة الملك بالاشتراك فى مجلة الرابطة الشرقية .

« ولقد قدرت اللجنة أحسن تقدير ذلك العطف الملكى السامى على المجلة ، ورأت تفضل صاحب الجلالة بالاشتراك فيها اشارة سامية إلى رضا جلالته عنها ، وذلك مما تغتبط المجلة به أكبر اغتباط ، ويحفز من هم الناهضين بها والقائمين فى خدمتها .

« وقد أنهت اللجنة إلى مجلس ادارة الجمعية تلك المبرة الملكية ، فاستقبلها بما هى أهله من جزيل الحمد والثناء وكلفنى أن أنوب عنه فى رفع آيات الشكر الوافر إلى عرش صاحب الجلالة مع عظيم الاجلال والاحترام .

« فأرجو أن تتفضلوا برفع ذلك إلى السدة الملكية العالية والسلام عليكم ورحمة الله . »

معونة الجمعية لعرب فلسطين المتهمين فى حوادثها : وفي ٣٠ أكتوبر ورد للجمعية كتاب من سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى ، يستنهض فيه بواسطة

مجلس إدارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٩



من اليمين: احمد شفيق باشا. الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني المساعد العربي. السيد محمد رشيد رضا نائب ثان. السيد عبد الحميد البكري (رئيس الجمعية) . الشيخ محمد بخيت نائب أول. الشيخ عبد المحسن الكاظمي
احمد زكى باشا كاتم السر العام — وقوف، من اليمين: نور الدين مصطفى بك المساعد التركي. محمد رضا قزويني المساعد الفارسي. الدكتور محجوب ثابت بك. صالح جودت بك. ميرزا مهدي رفيع مشكي بك أمين الصندوق.

همة المحامين المصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الفلسطينية في المحاكمات الخاصة بحوادث فلسطين الأخيرة مع اليهود .

وقد أبلغ المجلس هذا الخطاب إلى نقابة المحامين الأهليين لانتداب من يتبرع منهم لهذه المهمة .

وقد تبرع للدفاع كثيرون من بينهم محمد على باشا وتوفيق باشا دوس والأستاذ مكرم عبيد (باشا) .

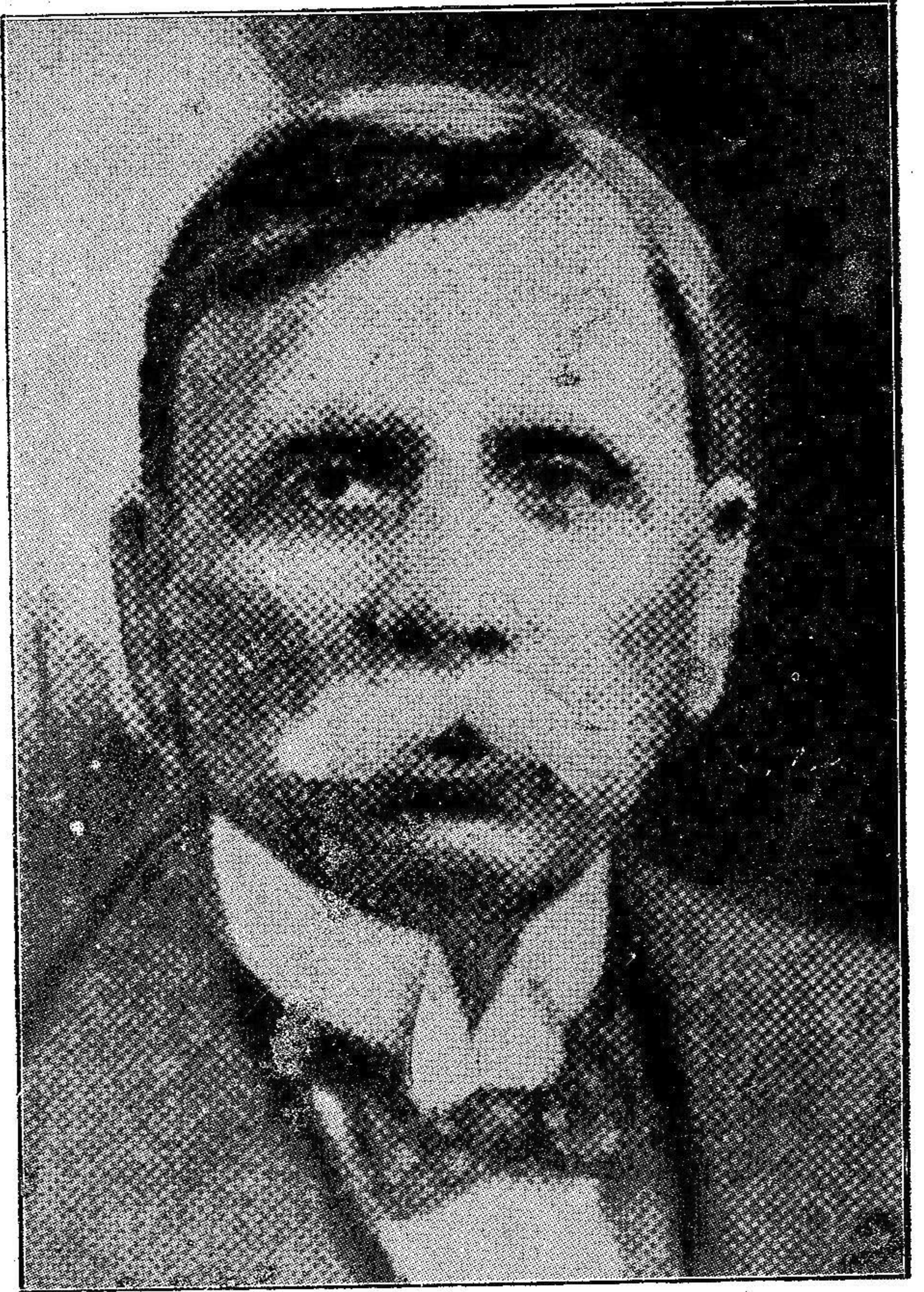
الرابطة تقدم لى تذكارا : فى جلسة ٧ مايو سنة ١٩٣٠ اقترح السيد التفتازانى أن يقوم مجلس ادارة الرابطة بتقديم تذكار لى بمناسبة بلوغى سن السبعين وتقرر أن يكون هذا التذكار اطارا ثمينا على الطراز العربى ، كتب به اسم الرابطة وتوقيعات أعضاء مجلس الادارة .

استقالتى من لجنة المجلة : وفى يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ عرضت استقالتى من لجنة المجلة ، بعد ان كف بصرى، لعجزى عن القيام بهذه المهمة ، فتقرر استبقائى لعدم الاستغناء عن جهودى ومشورتى ، وحرصاً على راحتى تقرر اختيار محمد بك عبد الرسول كشميرى للقيام بادارة المجلة مالياً

فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل : وبكل أسف بعد هذه المجهودات وبعد اتساع أعمال الرابطة ، وانتشار سمعتها فى الشرق والغرب حتى أمريكا . انتهت إلى فتور عن العمل ، أعقبه انقطاعه ، وانفراط عقدها

بعض عظماء الزائرين للرابطة : وبهذه المناسبة أذكر هنا بعض عظماء الزائرين الذين زاروا الرابطة في حياتها وهم :

من الهند حضرات السيد سليمان الندوى من أعظم كره — الشيخ عبد القادر القصورى من لاهور — الشيخ عبد الماجد القادرى بدوان — ابو المختار أمين احمد — الزعيمان الدكتور أجمل خان — رحمة الله عليه ، والدكتور انصارى من دلهى — السيد عبد الكريم الحسينى والدكتور عبد الحق وظهير الدين احمد من حيدر أباد الدكن وسمو الأمير لوهار والفيلسوف الكبير طاغور والسيد أبو المظفر احمد وبندت مونيلال نهرو الزعيم الهندوسى وظفر على خان صاحب جريدة زمندار فى لاهور والحاج اسماعيل من لاهور والكاتب أبو سعيد العربى الصحفى والسيد أمير على



السيد أمير على

ومن كابتاون بجنوب افريقيا الامام عبد الرحمن قاسم جمال الدين رئيس مدرسة مسجد الأزهر والشيخ احمد بن محمد بهاء الدين مدير العلوم الشرعية بمدرسة البرهامية الشافعية

ومن حضر موت سمو الأمير صالح بن عوض القعيطي والسيد أحمد العطاس خليفة السادات والسيد محمد بن عقل والسيد محمد بن هاشم وآل السيد احمد بن عمر بن يحيى

ومن نجد والحجاز الأمير سعود بن عبد العزيز والأمير عبد العزيز بن عبدالله والشيخ فوزان السابق ، معتمد جلالة ملك الحجاز ونجـد والشيخ حافظ وهبة المستشار والشيخ يوسف يسن ، مدير مطبوعات الحجاز والشريف يحيي عدنان والشيخ عبدالله سراج والشيخ صالح شطا والسيد محمد سعيد الدردير .

ومن الأفغانيين غلام حسين السفير فوق العادة وعلى احمد خان والى مدينة كابول وسلطان احمد خان والجنرال غلام جيلانى وشير رضا وغيرهم .

ومن العراقيين جلالة الملك فيصل والشيخ عطا الله الخطيب ، مدير الأوقاف وفهمى بك المدرس ، أمين جامعة آل البيت .

ومن القدس الحاج أمين الحسينى ، مفتى القدس ورئيس المجلس الإسلامى الأعلى والأساتذة إسعاف النشاشيبى وجبر عادل وبندلى الجوزى وخليل بك الخالدى

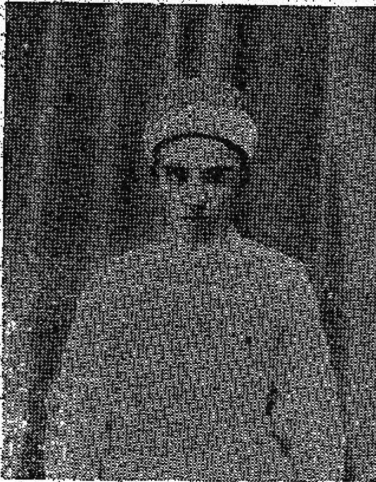
ومن سومطرا الحاج عبد الكريم أمر الله رئيس معلمى الدين الاسلامى بالمدرسة العليا ودرويش زكريا بمجلس سومطرا .

ومن مراكش سعادة قدور بن غبريط وزير السلطان .

ومن تونس الزعيم الكبير السيد عبد الحميد الثعالبى بجامعة آل البيت ببغداد وقد اختير عضواً بمجلس الادارة .

ومن جاوه السيد أبو بكر العطاس والسيد حسن بك أحمد العطاس ومختار لطفى رشيد .

ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتيها .



السيد عمر بن أبى بكر

مطلوباتى من عباس : سبق أن ذكرت شيئا عن هذه المطلوبات متفرقا فى سنة ١٩٢٠ عنـد تقديم المذكرة لعباس التى أعقبتها استقالتى ، وفى سنة ١٩٢٢ عند مطالبتى له ببعض مالى عنده على يد حسن بك صبرى (باشا)

بيان واف بمطلوباتي: ولم يكن ماذكرته هو كل المطلوبات ، فالآن أجملها هنا وهى ٦٣٠ جنيها بقية سلفة الشيخ على يوسف وقد سبق ذكرها و ٢٢٨٧ جنيها نقود حمصى المعروفة للقارىء و٧٧ ألف فرنك سويسرى (٣٠٠٠ جنيه تقريباً) مافقدته في سياحتى فى انسبروك و٢٢٠٥ جنيها ماحكم به ضدى في قضية الأوقاف (غير فوائدها من ١٩١٤ —١٩٢٣) و٥٠٠ جنيه كنت قد سلفتها لقصر جبوقلى ورصدت فى دفاتره . فيكون المجموع حوالى ٨٥٠٠ جنيه غير الفوائد ، وبعضها من سنة ١٩١٤ وبعضها من سنة ١٩١٨ وقد عرف القارىء أن عباسا أبى سداد شيء منها

وفى ١٨ فبراير سنة ١٩٢٤ حررت لدولة الوالدة خطاباً قلت فيه :

« تعلمين يادولة الوالدة كيف أننى خدمت سمو الخديو بصدق وإخلاص ، ففى صباه كنت أستاذه ، وفى مدة حكمه ٢٣ سنة كنت الخادم الصادق ، وفى مدة الحرب ضحيت كل غال فى خدمته ، مع أنه كان فى إمكانى أن أنتهز الظروف مثل الكثيرين ولكننى وأنا رجل مبدأ . لم أرد أن أغير خطتى ، لأن عباساً هو ابن ولى نعمتى ، وقد أردت أن أدفع دينى فسددته .

« ولكنه لم يكافأنى على خدمتى الصادقة ، بل أنه يرفض الاعتراف بما لى عنده من الدين بحجة أننى سأقاضيه أمام المحاكم مرة ، أو أننى لا أحبه مرة أخرى ، وهذا غير صحيح ، والدليل على ذلك أننى بعد مضى عدة سنوات بعيداً عنه ، لم أحرك ساكناً بالمطالبة ، ورغم المساعى التى لم تنتج فاننى لازلت صابراً ، أرجو الوصول الى تسوية . وكيف أتقدم للمحاكم بينما أنت يامولاتى أمرتنى ألا أعمل شيئاً بأمل الوصول الى حل مرض ؟

« لذلك جئت راجياً دولتك ، حتى لايقال : إننى قدمت نقوداً للسيدة التى وسطها الخديو بينه وبين البرنس عبد المنعم فى سويسرة ولموظفيه بقصد تخليصهم من البؤس الذى كانوا فيه فى زمن الحرب . وسموه مع اعترافه بهذا الدين يأبى دفعه ، فضلا عن رفضه سداد خمسمائة جنيه ذهباً دفعتها لدائرته فى جبوقلي في وقت كانت فى حاجة شديدة للنقود وكذلك بقية دين الشيخ على يوسف الذى خصم من نقودى ، بينما سموه هو الذى أمرنى بضمانته .

« وكل هذه الأشياء لاتقدر بجانب مافعله معى من صدور أمره لى بصرف مبالغ من الأوقاف لانفاقها في الأعمال الخيرية بصفتى مديراً لها . مع أنها دفعت بدون علمى في نفقات الفنادق لصاحبته في أوربا ، وفي شراء عجلات لسيارته الخصوصية

التيأرسلها الى أراضيه فى الضلمان ، وفي نفقات الاشراف بضيافة سموه . وغير هذه من الحقائق التى ثبتت فى التحقيق وفى المحكمة .

ومما ساءنى أن مبلغا مقداره ثمانية آلاف جنيه وكسور حجز من مالى الخاص فى المحكمة بناء على طلب الأوقاف الخصوصية ، مدة عشر سنوات ، مع أن هذا الحجز كان خليقا أن يوقع على الخاصة الخديوية ، لأن سموه هو المتسبب فى ذلك . وقد دافعت عن نفسى أمام محكمة الاستئناف المختلطة بدون جدوى، فحكم علىوعلى سموه بالتضامن ، ودفعت المحامى ما يقرب من الف جنيه .

« فمن الحق أن تدفع لى هذه المبالغ ، وإلا فلا يسعنى إلا مقاضاة سموه أمام المحاكم ، دون أن ألام على ذلك .

« غير أننى أتريث فى هذا لأنه سيكون سببا فى فرح أعداء سموه ، واعتمادا على عدالة دولتكم ومكارمكم المشهورة ، فأرجو أن يصدر أمركم بسداد هذه المبالغ التى تعود على خدامكم أولادى .

« وانني مستعد لتقديم كل المستندات التى تثبت حقوقى لم تنتد بينه دولتكم »

وقد انتظرت بعد وصول هذا الخطاب لدولة .لوالدة حتى يوم ٢٤ مارس دون أن يصلنى ردعليه، فعزمت على اتخاذ الاجراءات القانونية .

مقابلتي لوزير المالية ورد لجنة التصفية : وفى يوم ٢٨ يوليوقابلت توفيق نسيم باشا وزير المالية، وقدمت له عريضة أرجوه فيها أن يطلب من ملفات الخاصة، الملف الخاص بمبلغ الخمسمائة الجنيه التي سلفتها لجبوقلى ، ومبلغ الستمائة والثلاثين جنيها التى دفعت من نقودى فى ضمانة الشيخ على يوسف . وإذا تبين للوزارة أحقيتى لهذين المبلغين أمر بصرفهما . فوعدنى باحاله طلبى إلى اللجنة المشكلة فى المالية لتصفية الأملاك الخديوية .

وقد امتد بيننا الحديث إلى ما لقيته من الاضرار بسبب الخديو السابق مادية وأدبية ، وقلت : « أما الآن فأترك الأمر للقضاء والقدر »

وفى يوم ٢٨ أغسطس ورد لى من هذه اللجنة الرد الآتى :

« حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا

«بالاشارة الى كتاب سعادتكم بشأن مطالبة لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق بسداد مبلغ ٥٠٠ (خمسمائة جنيه انجليزى) التى سبق أن اقترضتها الخاصة

من سعادتكم لحساب سمو الخديو السابق عند ما كان بالأستانة فى نوفمبر سنة ١٩١٤ مع حفظ حقكم فى المطالبة بمبلغ ٦٣١ جنيه و٩٢٥ مليما الذى دفع من مال سعادتكم الخاص للبنك الشرقى الألمانى نيابة عن الخاصة في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ قيمة باقى سلفة المرحوم الشيخ على يوسف بضمانة الخاصة، أتشرف بالافادة بأن اللجنة قررت بأن المبالغ المذكورة دخلت ضمن أعمال التصفية التى قام بها الحارس لأملاك الأعداء والتى أقرها القانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢٢ واعتمدها، وحرم المطالبة بها أمام جهات القضاء؛ وعلى ذلك لا يكون للجنة الحكومية المنصوص عليها فى هذا القانون شأن في هذه الطلبات »

وكيل المالية

ورئيس لجنة تصفية أملاك سمو الخديو السابق

مقابلتى لوزير الحقانية . وفى يوم ٥ سبتمبر قابلت محمد سعيد باشا وزير الحقانية وقدمت له طلباً بأن يصدر أمره إلى النائب العام لدى المحاكم الأهلية بأعطائى صوراً رسمية من محاضر تحقيق النيابة ضد احمد بك صادق، وفيها مستندات المبالغ المحكوم بها علي وعلى الخديو حتى أقدمها للحارس القضائى على أملاك الأعداء، وذلك لأثبت له ان المبالغ المذكورة صرفت فى شئون سموه أو لرجاله، وبذلك أتمكن من استرداد ما خسرت فى قضية الأوقاف، وقد وعدنى بأجابة طلبى

رسالتى لمصفى أملاك الاعداء ورده عليها : وبعد حصولى على هذه المستندات قدمت إلى المصفى طلباً جاء فيه :

« صدر حكم محكمة الاستئناف المختلطة ضدى وضد سمو عباس حلمى بالتضامن فى القضية المقامة علينا من الأوقاف الملكية الخصوصية بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنيها مع الفوائد ٥٪ اعتبارا من ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ مع الرسوم . وبما أنه كان حجز علي بمبلغ ٨٧٠٦ ج و٩٦١ م ونفذ على بمبالغ هذا الحكم والباقى من المحجوز بقى فى صندوق المحكمة طول هذه المدة ، وضاع على ما كنت طلبته من الانتفاع بهذا المبلغ فيما يعود على بالمنفعة تحت حجزه فى خزانه المحكمة . هذه المبالغ التى دفعت منى خلاف أتعاب المحامى ورسوم أخرى مما يبلغ مقداره الف جنيه . ومن العدل أن المبالغ التى تحملتها كان يجب أن يدفعها سمو عباس لأن المبالغ صرفت من الأوقاف بأوامر سموه، وكان يقال عنها إنها للخيرات، وأنا نفذت أوامره بصفته خديوياً وناظرا لهذه الأوقاف؛ فاذا ظهر انها صرفت فى خلاف ذلك بغير علمي

فلست في الحقيقة مسئولا : فالحجز الذى حصل على ما كان لى فى بنكو دى روما جعله عديم الانتفاع وحرمنى من دفع المبالغ المطلوبة منى من بعض البنوك ، وكانت النتيجة مبيع الأسهم التى كانت مودعة عندها باسمى بأثمان منخفضة ، وفى وقت خرج فالحجز الذى حصل على المبالغ التى كانت باسمى كانت نتيجته افلاسى ، وهذا من أعمال سمو الخديو وهو المسئول ماديا وأدبياً ، وعليه أن يدفع لى كل الخسائر . وبما أن جنابكم يامصفى أملاك الأعداء حاجزون على أمواله ، وبما أنكم مكلفون بدفع ديونه أرجوكم دفع المبلغ المحكوم به من محكمة الاستئناف ،

وكان رده أن على أن أتوجه للجنة المالية

وبذلك كنت كمتسول يمد يده ذات اليمين وذات الشمال ، بدل أن أشكر وأكافأ على عواطفى وبذل المساعدات وقت الشدة

تدخل دار المندوب السامى : وفى يوم أول يونيو سنة ١٩٢٥ جاءتنى دعوة من دار المندوب السامى إلى ليلة ساهرة ، وكان ذلك لأول مرة ، فخطر على بالى أن اللورد ربما تلقى معلومات عنى وعن الظروف التى أحاطت بى ، ففكرت فى أن أطلب مساعدته عند الحارس القضائى لتصفية أملاك الأعداء ، ليدفع لى ما خسرته فى قضية الأوقاف

وفى يوم ٥ منه تقابلت مع السكرتير الشرقى لدار المندوب ، وشرحت له الموضوع فأبدى لى عطفه ، وأوصانى أن أكتب للمندوب السامى ، وأطلب منه التوسط لدى الحارس القضائى ، وقال : إنه نظراً لقرب سفره سيترك مذكرة بخصوصى . فشكرته

وفى يوم ١٣ منه قابلته وسلمته خطاباً منى إلى اللورد اللنبى أوضحت فيه مسألة قضية الأوقاف ، ورجوت مساعدته عند الحارس

وفى يوم أول يوليو قابلت الحارس القضائى ، وتحادثنا فى سيرة عباس فشرحت له مقدار ما أصابنى من الضرر فى سبيله ، فظهر عليه التأثر ثم قال : « إن عريضتك وصلت من دار المندوب السامى ، وقد رددت عليها رسمياً بأننى موافق على ما سبق أن أبداه زميلى السابق من أن الحكم لا يخليك من المسئولية . ولكننى بعد أن سمعت حديثك هذا أرى من العدل أن ينظر إلى طلبك من جهة العدل والانصاف ، لا من الجهة القانونية » ووعدنى بأنه سيكتب مذكرة فى هذا الموضوع بصفة غير رسمية فشكرته كثيراً

وفى يوم ٩ منه قابلته مرة أخرى ، فسألنى عما إذا كان قد وصل إلى شىء من دار المندوب خاصاً بطلبى ، فأجبته نفياً . فقال : « إن الأولى أن تذهب إلى هناك وتشرح لهم الموضوع شفهياً ، وإننى قدأرسلت منذ أيام رسالة إلىمستر هندرسون السكرتير الذى يقوم بأعمال الدار ، قلت فيها : إننى بصفة خصوصية أرى ألايتحمل شفيق باشا مسئولية تصرفات الخديو ، وإن كان الحكم لم يخله من المسئولية القانونية فهو مظلوم ، وما كان يستطيع أن يرد طلب الخديو »

وفي يوم ٢٣ منه توجهت اليه بناء على دعوة منه ، فقال لى : « إن دار المندوب السامى أشارت بأنه إذا أمكنك أن تثبت أن المبالغ المحكوم بها عليك وعلىالخديو صرفت بناء على أوامر رسمية منه ، فان هذه المبالغ ترد لك » ونصحنى بأن أذهب إلى محامى الحراسة لأتحادث معه فى هذا الموضوع .

وفى يوم ٢٧ منه قابلت المحامى ، وعلمت منه أن مهمته محصورة في أن يطلع على الأوراق التى ربما تكون تحت يدى ، تثبت أمر الخديوالسابق لى بدفع المبالغ المحكوم بها على ، فأجبته بأن هذه الأوراق لو كانت لدى لقدمتها إلى المحكمة ، وأن الخديو السابق أو الملك الحالى ، لا يعطى أمراً كتابياً عند ما يأمربصرف نقود .

وفى يوم ٢٩ قابلت الحارس فأخبرنى أن المحامى حضر عنده بعد مقابلتى له ، وأنه كلفه بكتابة تقرير عن مسألتى ، وسيرفعه إلى دار المندوب ، وينتظر الأوامر

<u>الغودة إلى لجنة التصفية</u> : وفى سنة ١٩٣٥ عاودت المطالبة عند لجنة التصفية فجاءنى الرد منها ، بأنها مصرة على الرد الذى بعثت به إلى فى المرة الأولىسنة ١٩٢٤

<u>نهاية المطاف</u>: وهكذا كان الفشل والخسارة هما نهاية المطاف بعد هذه المجهودات .

صلات عباس الشخصية : اطلع القارىء فى خلال هذا الجزء الأخير على علاقات عباس بصاحبته « مدام لوزانج » في تواريخها ومناسباتها

وقد سبق إن كانت له علاقات بصاحبة أخرى قبلها ، وكان موضع ذكر هذه العلاقات ، هو القسم الثاني من حكم عباس ، ولكن لأسباب خاصة حذفت منه .

وهأنذا أذكرها في نهاية الجزء الأخير ، حتى أرسم للحقيقة والتاريخ صورة كاملة لعباس .

الكونتيس توريك : فى عام ١٩١٢ حضرت « الكونتيس » صاحبة الخديو — وكان قد تعرف بها فى باريس عقب عودته من أوروبا عن طريق الأستانة —

وعلمت منها أنها لما وصلت يصحبها كلبها إلى الأستانة لقيت فى الجمرك بعض الصعوبات ، وأن مستشاره محمد على بك قدم لرؤيتها هى وكلبها ؛ وربما كان ذلك بناء على أخبار وردت اليه من منير باشا سفير الدولة بباريس ليتمكن من التقاط صورتها ، وعرضها على السلطان .

وكانت تدعى أنها « الكونتيس توريك دوسزندرو » ولكن اسمها الحقيقى هو « مدام بوسكاش » .

نعم إن الكونت توريك تزوج بوالدتها ، ولكنه تركها لما رابه منها ، ثم سافرت مع خدين لها إلى أمريكا . وبعد أن وضعت هـــذه « الكونتيس » وأختاً لها ، عادت إلى زوجها ، ورغبت في أن يعترف بهما ، فرفض وطلقها ، وتزوجت والدتها برجل من عامة الناس .

وقد حضرت الاثنتان إلى مصر فى الشتاء ، ومكثتا مع « الكونتيس » مدة ، ثم عادتا إلى باريس ، وأعادتا الكرة مرارا

ولما حضرت إلى العاصمة سكنت خلال فصل الشتاء فى منزل بجهة التوفيقية ، ونظراً لبعد هذه الجهة عن سراى القبة ، استأجر لها منزلا آخر عند محطتها . وقد كان ذهابه إلى هذا المنزل يلفت الأنظار ، فنقلها فيما بعد إلى سرايه بموسطرد بين المزارع وكان الخديو يقوم بجميع نفقاتها .

وقد بلغنى من دومرتينو باشا وبروستر بك أن نفقاتها الشهرية كانت تتراوح بين الثمانمائة والألف من الجنيهات ، تنفق منها ما شاءت ، وترسل لأوربا ما تشاء .

وقد أخبرنى بروستر بك فى ١٢ مارس سنة ١٩٠٣ أنها اشترت من « لاتس » بائع الجواهر الشهير ، مجوهرات بأكثر من ١٩٨٠٠ جنيه على حساب الخاصة ، من ذلك عقد لؤلؤى بمبلغ ٥٫٠٠٠ جنيه ، و « ديادم » بمبلغ ٣٫٠٠٠ جنيه ، وكانت فوق ذلك تشترى ما يلزمها على الحساب ، حتى أنه عند قيامها من مصر إلى الاسكندرية ، فى أوائل مايو تبعها بائع الأزهار مطالباً إياها على ملأ من الناس بسداد باقى حسابه . وربما كان ذلك بناء على اتفاق بينهما ، حتى يعلم الخديو أنه يطالبها

فيدفع له ما يطلب . وكان هذا رأى بروستر بك الذى تدخل فى الأمر ، وبعث بالرجل إلى العاصمة، وصرف له ما يطلبه ، كما صرفت مطالب غيره من الدائنين !

ولقد ذاع أنها صاحبة سموه ، وعرف ذلك معظم الناس ، وكانت هى نفسها لا تدع فرصة حتى تعلن هذه الصفة لكل من يخاطبها أو يقابلها .

وكانت قبل السفر إلى الاسكندرية ، تختلف إلى سراى عابدين ، كلما جاء إليها الخديو ، فتتغدى معه ، وتسامره بضع ساعات . وعند انصرافه تذهب إلى منزلها فتنتظره بعد العشاء .

ولما سافرت إلى الاسكندرية نزلت فى « المنتزه » وكان قد أعد لها مكاناً خاصاً فوق السلاملك ، واستمر على تناول الغداء والعشاء معها فى ردهة الأكل الكبيرة ، والحاشية تتغدى وتتعشى فى حجرة المائدة الصغيرة بالسلاملك . وكان يقضى معها كل أوقات فراغه

ومن أغرب ماعلمت أنها رافقت عباساً فى حفله افتتاح خزان اسوان ، وطلبت أن تحضر الحفلة ، فرغب فى أن ترافق موسيو « دو تريش » المصور ، ولكنه أبى ، وكان الواسطة الدكتور كاوتسكى بك ، فغضب سموه من كليهما ، لأن صاحبته لم تستطع مشاهدة الاحتفال .

ومما يذكر أن السراى كانت تقيم حفلة راقصة فى شتاء كل عام فلما أرسلت تذاكر الدعوة لرجال السلك السياسى الأجنبى مع عقيلاتهم وإلى كبار رجال الجاليات الأجنبية ، الأمراء والنظار وعظماء المصريين ، طلبت الكونتيس أن تحضر هذه الحفلة مع الخديو تشبهاً ببعض ملوك فرنسا الذين كانت صاحباتهم تحضر الحفلات فامتنع عباس أولا ، ولكنه خضع لارادتها بعد الالحاح .

وفى اليوم المحدد أمر سموه طورنيزن باشا بأن يرافقها ، وينتظر معها فى إحدى غرف الاستقبال البعيدة عن الجناح المخصص للحفلات ، حتى تصدر لهما أوامر أخرى .

وفي الوقت نفسه كلف دومرتينو باشا أن يجس نبض قناصل الدول الجنرالية ، وكان من بينهم معتمد إيطاليا مسيو دومرتينو وهو قريب له . فكان جواب القناصل بالاجماع الانسحاب مع عقيلاتهم إذا وقع هنا الأمر

وعلى ذلك فان الكونتيس احتجبت حتى آخر السهرة وانصرفت إلى محل إقامتها

ولكنها حنقت حنقاً شديداً لعدم حضورها ، وطلبت عدم إقامة هذه الحفلة مرة أخرى . وقد تم ذلك .

وعلمت من الدكتور كاوتسكى أنها حانقة عليه ، وعلى بروستر ، وطورنيزن ، ودومرتينو ، وأنها تسعى بهم عند الخديو ، مع أن الدكتور نصح لها مرات بألا تتدخل فى مالا يعنيها ، وأن تحافظ على حسن العلاقة بين سموه وموظفيه ، وتجتهد فى أن يكون راضياً عنهم

وفى ذات مرة ذهبت إلى المنتزة ، وبعد الغداء وتلقى أوامر سموه ، خرجت ، وقد حان وقت رجوعى إلى الاسكندرية ، فذهبت لآخذ عصاى من السلاملك ، فلما دخلت وجدت « الكونتيس » فى الممر ، فتجاهلت وجودها ، ولكنها حيتنى عن بعد ، فكأنها أبت إلا أن تعرفنى بأنها تسكن المنتزه !

وقد سافر الخديو إلى ديفون صيف هذا العام للعلاج بحماماتها ، فرافقته « الكونتس » . وكانت ترد لها من باريس « طرود » مختلفة ، فيها ثياب وأمتعة وما شاكل ذلك ، فيقوم بسداد ثمنها .

وفى أثناء جلوسى مع سموه بالحديقة ذات يوم لقراءة البريد ، وتلقى الأوامر للرد عليه . قدمت هى من خلفى ، فقال عباس : « ها هى ذى (غزية الصعيد) حضرت ، ... وأمرنى ألا أحول وجهى نحوها ؛ وأضاف على ذلك : إنها قادمة علينا الآن .... وقد رأيتها حين حضرت أمامنا لابسة ثوبا من « التلى » موشى بورق شجر عريض أصفر من « الترتر » فكان تشبيهها بغزية الصعيد فى موضعه . وقد ذهبت معه في المساء بهذه الثياب إلى المسرح ، وكانت هذه أول مرة يستصحبها معه أمام الأنظار .

ويمكننى القول بأن هذه « الكونتس » صورة مجسمة من المبالغة . فاذا كتبت خطابا كتبته بحروف كبيرة . وإذا تكلمت بالغت فى نطق الفرنسية خلافا للمعتاد ، وإذا ارتدت زيا اختارته خارجا على المألوف . وهكذا هى فى كل شىء من أعمالها !

وفيما يلى صورتان لها :




الكونتيس ثوريك

وفى صيف سنة ١٩٠٤ كانت تصحبه أثناء إقامته بفينا ، وقد أخبرنى طورنيزن باشا بأن سموه اشترى لها خاتما يساوى عشرة آلاف كورون ، وفراء بسبعة آلاف. وأنه أنفق عليها فى هذه الرحلة مائة وثمانين ألف فرنك ، وأن أدوات الزينة وحدها بلغ ثمنها ألفى جنيه . وأنه اشترى لها جواهر في خلال هذا العام بثمانية آلاف جنيه. هذا فضلا عما أغدقه عليها من النفقات الباهظة في « فرانسز باد» من أجور الأطباء لعلاجها رجاء أن تحمل ، دون جدوى .

وقال لى مرة : « إن جملة ما تكبده الخديو من النفقات فى هذه الفترة يبلغ نحو أربعة عشر ألف جنيه ، وأنه أفضى إلى بأن الكونتس تنوى خرابه ! »

وفي سنة ١٩٠٦ وقعت مشادة بين الخديو واللورد كرومر من جراء موقف سموه فى مسألة طابة . وقد أخبرنى دومرتينو باشا أنه علم من بروستر بك أن الذى يشجع سموه على مناوأة الانجليز هى « الكونتس » وأنها كانت كلما جاء اللورد لمقابلته ، تجلس وراء الباب الفاصل بين قاعة الاستقبال وغرفة المكتب في عابدين وتستمع لما يدور بينهما من الحديث

وبينما كانت الكونتس تتردد على سراى القبة ، وتختلى بعباس فى مكتبه لتمضية

الوقت معه ، والاطلاع على أسراره من مكاتبات وغيرها ، كانت تتقابل مع الأسرة سواء في حديقة السراى أو خارجها . مما كان يسبب تكدير الأسرة أشد تكدير

ولما علمت الوالدة بخطورة ما قد يحدث من جراء هذه الحالة حضرت إلى عابدين يوم ١١ ابريل ، وكان الخديو مشغولا ، فأرسلنى اليها للاعتذار ، ورجائها فى الانتظار قليلا ، فلما رأتنى أجلستنى إلى جانبها وقالت : « ياشفيق كيف يكون حالنا ؟ » فأجبتها أن الخديو لم يخبرنى بشىء ما .

وعلمت بعد مقابلتها لسموه أنها أزالت سوء التفاهم الذى كدر صفو العائلة

وكان الخديو خلال هذه الفترة يبدو متهيج الأعصاب ، مشتت الأفكار ، يسخط ويثور لأتفه الأسباب

وفى ٢٤ مايو حدثت بين الخديو وأحمد زكى باشا مشادة عاصفة ، اقتضت أن يقدم استقالته ، ولكن دومرتينو باشا أخبره أن الخديو معذور فى ثورته وتهيجه وأوضح له السبب ، فاقتنع وسحب استقالته

قال دومرتينو باشا : « بعد العشاء طلب سموه طورنيزن باشا ، الذى قدم له حساب الكونتس عند الجوهرى « لاتس » والكتبى « ديمر » وغيرهما . والأول يطالب بثمانية آلاف جنيه ، والآخرون بنحو ألفى جنيه ، فدخل سموه مع طورنيزن إلى أعلى السلاملك عند الكونتيس ، وجلس على مقعد ، وأخذ يقرأ مفردات هذا الحساب بعناية ، ويقول . « من أين آتى بهذا المبلغ ؟ وكيف أطلبه من دومرتينو باشا ناظر الخاصة ، مع أن الدائرة فى أزمة ؟ فلم ترد عليه بكلمة ، وعندئذ احمر وجهه ، والتهبت أعصابه ، حتى كاد يخشى عليه من حدوث مالا تحمد عقباه »

ومن ذلك تأكدنا أن ثورته علينا بدون سبب ، أو لأسباب تافهة ، مبعثها أمور من هذا الطراز .

ثم قال لى دومرتينو باشا : « إن الخادم الخاص « فردريك » قص على أنه كثيرا ما شاهد « الكونتيس » وهى غاضبة مع الخديو ، وتقذف فى وجهه بكل ما عندها من الأوراق الخاصة من رسائل وغيرها ، ولكن سموه يلاطفها ويردها اليها

قلت : إن الأوراق التى تقذفها وقت غضبها ليست هى الأوراق المهمة ؛ على الأرجح . فقد بلغنى أنها حفظت الوثائق الخطيرة لدى مسجل فى باريس لوقت الحاجة . وسموه يخشى الفضيحة ، فهو مرغم على الاحتفاظ بها وتحمل نفقاتها .

فقال دومرتينو : « إنه يعرف أن الكونتس صارت كاتمة أسرار الخديو فهى تكتب له الخطابات السياسية ، ولا يبعد أنها حفظت « مسوداتها » عندها ، فهى محيطة بكل أسراره وأفكاره » .

وفى ٨ يناير سنة ١٩٠٨ علمت أن طورنيزن باشا دفع أربعة آلاف جنيه لمحل الرهونات بباريس ، إذ كانت الكونتيس رهنت حزاما مرصعا بالجواهر . وهذا المبلغ من المبالغ المحصلة من بيع الرتب والنياشين .

وفى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩١٠ كان عباس قد عاد من الأرض المقدسة بعد حجه ، وبهذه المناسبة عقد عقده على صاحبته بعد اسلامها ، وقد سميت « جاويدان هانم أفندى » .

ولكنها ما لبثت أن تركته، وسافرت خلسة إلى أوربا، فبعث فى أثرها يوسف صديق باشا لاسترضائها، ولاسترداد أوراقه منها ، فلم ينجح فى ارجاعها ، ولكنه نجح فى اقناعها برد الأوراق مستخدما كل الوسائل اللازمة . وهكذا انتهت علاقته معها

تحليل شخصية عباس : مما تقدم فى المذكرات يستطيع القارىء أن يتصور شخصية عباس ، بمحاسنها وعيوبها ، فهى واضحة فى تصرفاته وأعماله، داخل الحكم وخارجه .

ومع هذا قد آثرت أن أفرد لذلك فصلا خاصا ملخصا، أرسم فيه الصورة التى تركتها فى نفسى صحبتى الطويلة لعباس، مبينا فيها ما له وما عليه .

جاذبية عباس : كل الذين اتصلوا بعباس ، لفت نظرهم فيه قوة جاذبيته ولطف حديثه، واستطاعته أن يستميل محادثه إلى صفه ، وكان لهذا أثر كبير فى التفاف المصورين حوله عند توليه العرش مضافا إلى ما كان معروفا به من الوطنية ومعارضة السلطة الانجليزية ، وكثيرا ما شهد له بهذه الصفة مراسلو الصحف الأوربية الذين حادثوه ورجال السياسة الذين حضروا مجلسه .

فضله على الحركة الوطنية : ليس من ينكر أن تبوأ عباس العرش ، كان من المنبهات القوية للروح القومية فى مصر ، إذ وجد الشعب فيه رمزا لثورته على تغلغل السياسة الانجليزية فى عهد والده الخديو توفيق .

ومن الأعمال التى انتفعت بها البلاد فى عهده معونته للزعيم الشاب مصطفى كامل فانهما والحق يقال أوقدا نار الحماسة في نفوس المصريين ، ولم يبخل الخديو

بالمساعدات المادية للزعيم في جهاده، كما عاونه بانشاء هيئة سرية من بعض الشبان الذين درسوا فى أوربا ومن موسيو روليبه سكرتيره ، وبعض الفرنسيين وعلى رأسهم موسيو جافيو عميد الجالية الفرنسية بمصر للاتصال به وتغذيته بجميع المعلومات مع تغيير وكيل شركة هافاس بمصر ، ليساعد الوكيل الجديد على نشر أخبار الحركة المصرية.

عمله على حفظ حقوقه الشرعية : ولم يأل عباس جهدا فى محاربة النفوذ الانجليزى فى أول عهده، والوقوف للمستعمرين بالمرصاد ، والمحافظة على كرامته معهم ومن ذلك أنه لما لاحظ ان الضباط الانجليز فى الجيش المصرى لا يؤدون له التحية العسكرية عند مروره بهم أصدر أمره باجراء تحقيق فى ذلك، وكانت النتيجة أن أرسلت الأوامر من السردارية بالانتباه إلى أداء هذا الواجب. كما أنه سمع بأن موظفا انجليزيا أهان مرءوسه المصرى، فأمر باجراء تحقيق دقيق حفظا لكرامة الموظفين المصريين.

وأوضح من هذا موقفه فى حادثتى إقالة النظارة الفهمية والحدود ، ومحاولة استعمال كامل سلطته الشرعية فيهما ، ولو أنه وجد فى كلتا الحادثتين نظارا حوله يؤيدونه بحكمة ، ولا يبالغون له في تصوير الأخطار التى تحيط بمركزه ، أو لو أنه وجد من السلطان بعض المساعدة ، لتغير تاريخ الاستعمار البريطانى فى مصر. ولكنه مع الأسف وقف وحيدا أمام قوة انجلترا فاضطر للاستسلام.

على انه رغم فشله فى الاحتفاظ بسلطته الشرعية ، ظل يناضل كرومر ، ولكن فى حذر ، وقد اشتد النزاع مرتين بينهما حتى هدد سموه العميد بالتنازل عن العرش فتراجع كرومر خشية أن تتدخل الدول فى هذا الأمر الخطير.

مهارته السياسية : كانت لعباس مهارة سياسية ظهرت فى بعض المشروعات التى فكر فيها . مثال ذلك : انه لما علم بعزم امبراطور ألمانيا على زيارة مصر فى طريقه لفلسطين فكر فى انتهاز هذه الفرصة ، لانشاء علاقات ودية بين فرنسا وألمانيا ، باستدعاء مجلس شركة قناة السويس لاستقبال الامبراطور . وقد خابر الفرنسيين فى هذا ، فوعدوه بالموافقة . ولو تم هذا المشروع لكسب من هذه السياسة أعظم نصيب ، غير أن السلطان وانجلترا حالا دون إتمامه :

ومثل هذا يقال عن المشروع الذى قام به فى إبان الحرب العظمى ، لفصل فرنسا عن انجلترا بأموال ألمانية، وبمشاركة موسيو بولو ، ولكن حال دون نجاحه المطامع المالية من كليهما.

وتبدو هذه المهارة السياسية ، فى مناوراته سنة ١٩١٧ مع الانجليز والأتراك قبل عودته إلى الأستانة ، فنى الوقت الذى كان يرسلنى فيـــه بمهمة إلى برن مع فؤاد بك سليم سفير الدولة ، كان يتصل بالسفير الانجليزى وملك البلجيك لتسوية موقفه ، موهما كل فريق انه معه ، وأن الفريق الآخر راغب فى استمالته اليه .

وتبدو كذلك في إشاعة عزمه على زيارة منشئات نهر الطونة التى أنشأها حلفاؤه ، عنـد ما رأى منهم فتوراً من ناحيته وهو بالسويسرة ، وبذلك استعاد هتمامهم به .

وكان يستخدم مهارته هـذه فى بعض الشئون الداخلية ، فمثلا حينما أراد تغيير محمد سعيد باشا ، نقمة عليه لأنه لم يساعد سموه فى بيع سكك حديد مربوط بالثمن الذى يريده ، لوح كتشنر بأنه يفضل مصطفى فهمى باشا عليه ، فكان هذا داعة قبول كتشنر تغيير النظارة .

عباس لا يكتم السر ولا ينتصح : من أظهر صفات عباس إنه لم يكن يكتم السر وكذلك كان سكرتيره الذى اختاره معه من النمسا وهو أستاذه موسيو روليه .

وقد جنت عليه هذه الخلة كثيراً في حياته السياسية ، ذلك أنهما اتفقا فى طريقهما لمصر على اتباع عدم استسلام الخديو للانجليز والمحافظة على حقوقه الشرعية في حكم البلاد ولما وصلا ، لم يستطيعا كتمان هذه الخطة ، ولا المحافظة على ما يدور فى السراى من الأسرار ، فكنا إذا جلسنا نحن رجال الحاشية على المائدة الخديوية لتناول طعام الغداء مع سموه ، باح لنا بمـا دار بينه وبين كرومر من الحديث ، أو بما دار فى مجلس النظار .

وقد حـدث في مسألة الحدود ، إن الخديو كان قد أعرب ونحن على المـائدة إن عزمه على إبداء ملاحظاته على الجيش باعتباره قائداً أعلى له ، ووصل الخبر الى السردار كتشنر . من أحـد ياوران عباس ، وكان لذلك أثره السيء فيما وقع بعد ذلك .

وعنـد ما تولى أراد أن يتعرف بكبار الموظفين والأعيان ، فخصص لهم أياماً معينة لمقابلته فى السراى ، والتحدث اليهم فى شتى الامور ؛ وكان بعضهم يطلعه على أسرار المصالح ؛ ولـكنه لم يحافظ عليها فكان يرددها فى أحاديثه ، فتنتقل إلى الانجليز فيحاسبونهم عليها . ولذلك امتنعوا عن إمداده بالمعلومات

وكذلك كان روليه قد اصطفى قنصل الروسيا فى مصر ، فكان يجتمع به ، ظنا منه أنه يناوىء سياسة انجلترا فى مصر ، ويبوح له ببعض أسرار السراى وبمعاضدته هو لسياسة عباس ، فتصل هذه الأخبار إلى كرومر . وفى إحدى زيارات روليه للعميد حادثه في عدائه للانجليز ، ونصح له بألا يتدخل فى السياسة ؛ وانتهى الأمر إلى أن يطلب كرومر عزل روليه ، ثم يكتفى بمنحه أجازة طويلة بناء على تدخل الخديو على أن يبتعد عن الشئون السياسية .

وكثيراً ما كان عبد العزيز بك عزت يلاحظ على أحاديث عباس ، وإفشائه الأسرار ، بكل اخلاص ، فيتضايق الخديو من ملاحظاته ، وقد انتهى الأمر بتقديم استقالته من خدمة سموه .

وكذلك أبعد عنه الرجل المخلص له محمود شكرى باشا لمجرد أنه كان يقول عند الضرورة « أنصح لكم يا أفندينا » فكان يثقل عليه ذلك ، وكأنه يقول فى نفسه : « وهل أنا لا أدرك الخطأ والصواب ، حتى يكرر لى هذه النصائح ؟ ! »

ومن أغرب ما يروى عن خلة افشاء السر عند عباس أنه وهو يشتغل بمشروع فصل فرنسا عن انجلترا سنة ١٩١٥ كلف يوسف صديق باشا ألا يذكر اسم (بولو) أمام البارون أوبنهايم الألمانى ، بل يكتفى بأن يقول عنه « الرجل الواسطة » بينما هو نفسه قد راح يذكر الاسم صريحاً للبارون !

هل عباس دستورى ؟ : تمكن الاجابة على هذا السؤال بالايجاب والنفى فى آن واحد ؛ وإن كان جانب النفى هو الذى يغلب عند التطبيق العملى .

ففى ظروف كثيرة ، كان يصرح بأنه راغب في سن دستور لبلاده ؛ ولكن فى بعض الظروف كان يرى منه النفور من أعمال قانونيـــة منافية لرغائبه الشخصية ، فسخط على الامام الشيخ محمد عبده عندما أراد سموه أن تعطى كسوة التشريف العلمية لامام المعية ، فرد عليه الشيخ بأن مجلس الادارة أعطاها لمن هو أحق منه مستخدماً فى ذلك السلطة التى يخولها إياه القانون .

وكذلك عندما عارض الشيخ وحسن عاصم باشا فى استبدال أرض مشتهر بالقيمة التى كان يطلبها ، فانه غضب عليهما ، وأسرها فى نفسه لهما ، فعاكس الشيخ عبده كثيراً ، وأقال عاصم باشا من خدمة الديوان

ومثل ذلك موقفه من بعث قانون مطبوعات ســنة ١٨٨١ لمجرد أن الصحف انتقدت سموه بشدة

مطامع عباس الماليـة وملاذه الخاصة : بعد أن رأى عباس أنه لا فائدة من الاصطدام مع الانجليز وأن السلطان عبد الحميد لم يعاونه أية معاونه فى نضاله معهم حتى ساءت العلاقات بينهما ، قرر زيارة لندن سنة ١٩٠٠ ، وتعد هذه الزيارة بدء الهدنة بين عباس والانجليز .

وعند ذلك جنح إلى ملاذه الخاصة . التى كلفتـه نفقات باهظة ، ولم يستطع أن يكبح ميوله ويقف عند حد فيها فاندفع فى إيجاد موارد مالية جديدة ، يستطيع بها تأدية هذه النفقات الشاذة ، واضطره هذا الاندفاع إلى الدخول فى أعمـال تجارية كانشاء سكة حديد مريوط ، التى سمح الانجليز ببيع بعض أدواتها له بأثمان بخسة، حتى يلهو بها عن مناوأتهم .

ومثل اشتراك الخاصة الخديوية مع السيد بك يس فى استغلال بعض المحاجر . ثم انحطت هذه الأعمـال التجارية فلجأت الخاصة إلى الدخول فى المزايدة على « معدية » الوايلى ، وحرمان الرجل الفقير الذى كان يعيش منهـا ، مما لا يتفق مع كرامه الخاصة .

ولما لم تكف هذه الموارد الظاهرة لسد حاجات عباس . أخذ فى تجارة أخطر وهى الرتب والنياشين؛ ثم التجارة في استبدالات الأوقاف ، وفى المناصب الكبيرة ويرى القراء ذلك تحت عنوانات : « صفقة طيبة . مدير الأوقاف يباع ويشترى . عباس يصيب عصفورين بحجر ، في القسم الثانى من حكم عباس ؛ وكذلك اهتم باستخراج معادن طاشيوز وسواها وتحمل فى ذلك ما تحمل من السلطان عبدالحميد

وتتضح مطامعه المالية ، فى تصرفاته بنقود ألمانيا ومما طلته في ردها، مجازفاً بفقد الثقة من حلفائه به ، وانفضاض رجال حاشيته عنه ، حتى لقد قرروا عدم الاعتراف بخديويته ، والالتفاف حول ولى عهده لولا أن عاد فرد هذه النقود

كما يتضح ذلك من إضرابه عن دفع نقود حمصى التى صرفت لسد نفقات بعض المتصلين به . وفى عدم دفعه لبقية مطلوباتى منه . وكلها قد أنفقت من مالى الخاص فى ظروف حرجة بأمره أو بسببه .

نوادر عن بخل عباس : ولقد بلغ من بخل عباس أن يكون بعضه من النوادر الطريفة التى لا يتمالك الانسان نفسه أمامها من الدهش والابتسام !

من هذه الطرائف أنه كان بعد تلاوة الرسائل الواردة اليه ، يقتطع منها الصفحات البيضاء فيها ، لتستعمل لكتابة مذكرات صغيرة

ومنها ما رواه البروفسور هيس عند ما استدعاه عباس ليحادثه فى إخراج يكن من السجن وحدد له يوم السبت للحضور ، فحضر مساء الجمعه ليكون تحت أمره ، فاستكثر عباس أن يتحمل نفقاته ليلة .

وكذلك نقده لتفسير القرآن لمدام جاويدان (الكونتس توريك) بعد ما كلفه إياه ، حتى يتخلص من دفع أتعابه وهى ثلاثون جنيها !

آداب عباس وأخلاقه : مما لاشك فيه أن آداب عباس فى أول عهده كانت آداباً راقية .

وقد كنت أخجل عندما يطلب منى أمراً فيقول « ألتمس منك كيت وكيت » . وقد أخرج من موظفى المعية من كان يعلم عنهم تعاطى الخمور والجلوس فى المشارب والاستخفاف بالدين والأخلاق ، حرصاً على كرامة حاشيته ، وأمر بمراقبتهم لمعاقبة من يخالف هذه الأوامر .

ولكن هذه الآداب العالية لم تستمر حتى نهاية حكمه ، نظراً لوجود بعض أصاغر الموظفين الذين لاخلاق لهم ، فاقتبس منهم عادة السب والشتم ، والكلام الذى لا يصح صدوره من مثله .

وكذلك تغيرت أخلاقه فكان لايتورع عن طرد موظفين فى سن الشيخوخة ، وعقاب بعضهم عقاباً بدنياً بيده ، أو عقاباً مادياً لأتفه الأشياء .

وقد برزت من خلاله خلة الأنانية ، فكان الذين يخدمونه أشبه شيء بالليمونة يعتصرها حتى آخر نقطة ، ثم يقذف بها بعيداً عنه ، من ذلك تصفيته لرجال الحاشية فى سنة ١٩٢٠ ، ومعاملته قبل ذلك ليوسف صديق بالحجز على أمواله فى بنك زيوريخ ، ومعاملته ليكن بعد القبض عليه ، ولمحمد بك فريد بعد ماقبل أن يعمل معه وينسى معا كساته ومضايقاته . وأخيراً بموقفه معى مما اضطرنى للاستقالة بعد ماقمت له به من الخدمات فى محنته بكل إخلاص .

ثم إنه كان يهتم بأشياء صغيرة لايصح أن يشتغل بها حاكم مثله ، فكان يسره أن يوقع الشقاق بين أفراد حاشيته ، كما أوقع الخلف بين فريد بك والشيخ جاويش ، فقرب الأخير منه لهذا الغرض ، حتى إذا تم غضب عليه بحجة أنه من رجال سعيد

حليم . ويبدو حبه للدسائس الصغيرة ، فى محاولة إيقاعه بين يكن باشا وزوجته إذ يتهمه أمامها بأن له عشيقة أخرى سنة ١٩١٧ .

ولا يعدم الباحث تصرفات كثيرة لعباس تنقصها الشهامة ، وفى أول ذلك مواقفه مع رجال تركيا الفتاة أيام السلطان عبد الحميد ، فانه كان يستميلهم إليه ، ويوهمهم بالحماية ، ثم يضحى بهم فى سبيل التقرب للسلطان قضاء لمآربه الخاصة .

ولا يقل عن هذا امتناعه عن معاونة محمد بك فريد بالمال فى أثناء غربته بأوربا مع أنه قبل العمل معه فى مسائل خطيرة .

ويمكن ملاحظة ذلك فى كل مايختص بمطامعه المالية وبخله الشديد .

تردد عباس : ومما يلاحظ على عباس ، أنه كان كثير التردد بين الاقدام والاحجام ، ولم يكن هذا لأنه كثير الأناة والروية ، بل لأنه يتوهم مخاوف كثيرة فى كل خطوة يخطوها ، وكثيراً ما كانت هذه المخاوف مبعثها الحرص المادى . وأشد مايظهر ذلك فى تردده بين الأنجليز والأتراك سنة ١٩١٧ ، حتى تغلب الرأى القائل بعودته لتركيا بعد فترة طويلة ومناقشات مملة .

* * *

وبعد فهذه هى الخطوط البارزة فى صورة عباس ، وتتلخص فى كلمتين قلتهما لمندوب « البورص اجبسيان » ادجار جلاد عند ما سألنى عن رأيى فى شخصية عباس بعد عودتى من أوربا وهما : « مادى منتهز للفرص »

وقد رسمتها دون تفريط أو افراط ، للحقيقة والتاريخ ؛ ويجد القارىء مصداقها فيما مر به فى الحوادث فى الجزء الأخير والله على ما أقول وكيل .